بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله - تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة:

(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)(125)

المعنى الإجمالي :ثم ذَكَّر الله سبحانه نبيَّه محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ بما جعَل للبيت الحرام من مكانةٍ، وذلك بأن جعَلَه محلًّا يشتاق إليه الناسُ دائمًا، ولو زاروه مرَّاتٍ عديدةً؛ فإنَّهم يَرجعون إليه، وجعَله سبحانه مكانًا يأمَن فيه البشرُ على أنفسهم وأموالهم، بل أمانُه شمِل حتَّى الحيواناتِ والجمادات.
وأمَر الله تعالى باتِّخاذ مقاماتِ إبراهيمَ عليه السَّلام التي هي شعائرُ الحجِّ -كعَرفة، والمزدلفة- أماكنَ للعبادة.
ثم أخبَر الله تعالى أنَّه أوصى إبراهيمَ وإسماعيل وصيةً مؤكَّدةً، بالقيام بتطهير البيتِ طهارةً حِسيَّةً ومعنويَّة؛ من الشِّرك، والكفر، والأوثان، ومن الرِّجس، والنَّجاسات، وهذا التطهير مِن أجْل مَن يطوفون بالكعبة، ومَن يُقيمون في البيت للعبادة، وللمُصلِّين فيه.الدرر السنية

(وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ) أي: أوْحَيْنا إليهم بوصيةٍ مؤكَّدة، أمرناهما فيها بتطهير بيت الله تعالى من الشِّرك، والكُفر والأوثان، ومِن الرِّجس والنَّجاسات، وأنْ يَبْنِياه بِنيَّةٍ خالصةٍ لله عزَّ وجلَّ. موسوعة التفسير

(وَإِسْمَاعِيلَ) أي: وولده إسماعيل

قال سليمان اللهيميد: إسماعيل هو أكبر أولاد إبراهيم، وهو من سريته هاجر، وقد أبقاهما عليه السلام في هذا المكان (مكة) أي أبقى إسماعيل وأمه في هذا المكان حتى شب وكبر وأتاه الأولاد الذين هم العرب المستعربة، فكان إسماعيل مع أبيه في هذا المكان، فأمر الله عز وجل أن يطهر بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود.

⇦وإسماعيل هو الذبيح.

(أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ)

وتطهير البيت ينقسم إلى قسمين: تطهير معنوي، وتطهير حسي.

❶**أما التطهير المعنوي:** بأن يطهر من الشرك والمعاصي، وذلك لأن الشرك نجاسة.

❷**والطهارة الحسية:** أن يطهر من الأقذار، من البول والغائط والدم وما أشبه ذلك من الأشياء النجسة، فالواجب أن يطهر منها، فهذا الحكم ثابت للمسجد الحرام ولغيره من المساجد، أنَّ أعْرَابِيًّا بَالَ في المَسْجِدِ، فَثَارَ إلَيْهِ النَّاسُ ليَقَعُوا به، فَقَالَ لهمْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعُوهُ، وأَهْرِيقُوا علَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ، أوْ سَجْلًا مِن مَاءٍ، فإنَّما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ. صحيح بخاري

جاء في الحديث الصحيح (أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَوِ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَ يَقُمُّ المَسْجِدَ(تنظفه) فَمَاتَ، فَسَأَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عنْه، فَقالوا: مَاتَ، قالَ: أفلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي به دُلُّونِي علَى قَبْرِهِ - أوْ قالَ قَبْرِهَا - فأتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا).صحيح بخاري

قال السعدي: وأضاف الباري البيتَ إليه لفوائد:

❶: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في ذلك.

و❷: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه.

و❸ :أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه .

(لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) أي: أمَر اللهُ عزَّ وجلَّ بتطهير البيت لأجْل مَن يطوفون بالكعبة، ومَن يُقيمون في البيت مجاورين للعِبادة -فيما يُعرف شرعًا بالاعتكاف -وللمُصلِّين فيه. موسوعة التفسير

(لِلطَّائِفِينَ) الذين يطوفون بالكعبة.

(وَالْعَاكِفِينَ) أي: للمعتكفين، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله

⇦**والاعتكاف**: لزوم مسجد لطاعة الله بنية.

⇦وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالعاكفين المقيمين فيه.

✉فضيلة الاعتكاف، وهوكذلك، فهو سنة مؤكدة بالاتفاق، وهذه الآية تدل على أن الاعتكاف حتى في الأمم السابقة.

(وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) أي المصلون عند الكعبة

قال القرطبي: وخص الركوع والسجود بالذكر؛ لأنهما أقرب أحوال المصلي إلى الله تعالى.

وقال الشوكاني: وخص هذين الركنين بالذكر؛ لأنهما أشرف أركان الصلاة.

قال سعيد مصطفى ذياب: للصلاة خصوصًا وللعبادة عمومًا منزلةٌ عظيمةٌ جدُ عظيمةٍ عند اللَّهِ تَعَالَى، وأثرٌ بالغٌ في سلوكِ العبدِ ومنهجِ حياته، وأثرٌ أبلغُ في آخرته، وعند وقوفه بين يدي ربه؛ لذلك أمر اللهُ تعالى خليلَه إبْرَاهِيمَ، ونبيَه الكريمَ إسْمَاعِيلَ عليهما السلام أن يطهرا البيتَ العتيقَ، لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ والْمُصَلِّينَ، إيذانًا بشرف تلك العبادات، وتنويهًا بفضل أولئك العباد.

أما منزلة الصلاة عند الله تعالى فهي أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ فعن عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا». رواه البخاري ومسلم

وأما أثرها في سلوك العبد ومنهج حياته فإنَّها تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، قَالَ تَعَالَى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}. سورة الْعَنْكَبُوتِ: الآيَةَ/ 45

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ قَالَ: «إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ». رواه أحمد بسند صحيح

وأما أثرها في آخرته، وعند وقوفه بين يدي ربه، فهي المحك الذي تُقْبَلُ على أساسِهِ الأعمالُ أو تُرَدُّ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ». رواه الترمذي والنسائي بسند صحيح

فانظر في صلاتك، أتليق بربك؟ أتنهاك عن منكرٍ؟ هل ستنجو بها غدًا؟ (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ).

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (126)

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا) أي: واذكُروا دعوة إبراهيم عليه السَّلام بحلول الأمْن الدَّائم للبلد الأمين: مكَّةَ. موسوعة التفسير

(آمِنًا) أي اجعل هذا المكان -والمراد مكة المكرمة -بلداً ذا أمن يكون أهله في أمنٍ واستقرار

وعن عبدالله بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال :(إن إبراهيمَ حرَّم مكةَ ودعا لها، وحَرَّمت المدينةَ كما حرَّم إبراهيمُ مكةَ، ودعوت لها في مُدِّها وصاعِها مثلَ ما دعا إبراهيمُ عليه السَّلامُ لمكةَ) رواه بخاري

قال ابن كثير: أي: من الخوف، أي: لا يرعب أهله، واجعل هذه البقعة بلداً آمناً

وقد فعل الله ذلك شرعاً وقدراً:

فقال تعالى (ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً)97ال عمران

وقال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ)67العنكبوت

وقال تعالى (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا)91النمل

عن جابربن عبدالله رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (لا يَحِلُّ لأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلاحَ) صحيح مسلم.

قال الخازن: فإن قيل: لم دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ للبلد بالأمن؟

إنما دعا إبراهيم له بالأمن لأنه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فإذا لم يكن آمناً، لم يجلب إليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به، فأجاب الله تعالى دعاء إبراهيم وجعله بلداً آمناً، فما قصده جبار إلا قصمه الله تعالى كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة.

قال سعيد مصطفى ذياب: من أَجَلِّ نعمِ اللهِ تعالى على العبادِ نعمةُ الأمنِ، وبغيرِ الأمنِ لا يَهْنَأُ الإنسانُ بطعامٍ ولا شرابٍ ولا نومٍ، وبغيرِ الأمنِ لا يجدُ الإنسانُ للحياةِ طعمٌ، ونعمةُ الأمنِ واحدةٌ من نعمٍ ثلاثٍ بها قوامُ الحياةِ، وبها تكتملُ كلُّ لذةٍ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». رواه الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن

ونعمة الأمن أعظمُ مظهرٍ لرغدِ العيشِ، لذا امتنَّ اللهُ تعالى بها على أهل مكةَ فقال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ}. سورة الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ 67

وَقَالَ تَعَالَى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}. سورة قُرَيْشٍ: الآية/ 3، 4

وقدمها الخليل عليه السلام في سؤاله لربه سبحانه على طلَبِ الرزقِ؛ لأن الحاجة إلى الأمن أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب فضلا عن غيرهما من ضرورات الحياة.

ولا يشعر بقيمة هذه النعمة إلا من فقدها، واسألوا أولئك الذين يتوقعون الموت كل لحظة، ولا يأمن الواحد منهم على عرضه وماله.

وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أبدًا يُرَوِّعَ مُسْلِمًا، ولو على سبيلِ المزاحِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا». رواه أبو داود والترمذي بسند صحيح

اللهم اجعلنا بلادنا آمنة مطمئنة، وسائر بلاد المسلمين.

(وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي: سأل إبراهيمُ عليه السَّلام ربَّه سبحانه بأن يرزق مؤمني أهل مكة من أنواع الثمار المختلفة. موسوعة التفسير

قال تعالى :(أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا) القصص: 57

(وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) أي: وارزق يا رب المؤمنين من أهله وسكانه من أنواع الثمرات، ليقبلوا على طاعتك ويتفرغوا لعبادتك وخصَّ بدعوته المؤمنين فقط .سليمان اللهيميد

⇦**دعاء إبراهيم لهم بالثمرات ليقوموا بعبادة الله، كما قال تعالى عن إبراهيم** (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (37) إبراهيم

⇦**فلم يكن طلب الرزق مقصوداً لذاته بل صرح في دعائه أن يكون الرزق عوناً لهم على أداء العبادات والطاعات.**

قال الرازي: وذلك يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لأداء العبادات، وإقامة الطاعات.

وقد قال تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ)77القصص

(مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ) الإيمان بالله يتضمن: الإيمان بوجوده وبربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وصفاته.

(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) هو يوم القيامة، وسمي آخراً، لأنه لا يوم بعده.

كثيراً ما يقرن الله بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر من أعظم الحوافز التي تدفع الإنسان للعمل الصالح، حيث الجزاء على الأعمال في ذلك اليوم، فهو أعظم دافع إلى العمل الصالح، وهو أعظم رادع على التمادي في الباطل لمن وفقه الله تعالى.

(وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا)

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: لَمَّا خصَّ إبراهيم عليه السَّلام في دعائه بالرزق، المؤمنين، وكان رزق الله عزَّ وجلَّ شاملا للمؤمن والكافر، قال تعالى:

(وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا) أي: إنَّ الكافر ينال رزقه الدنيويَّ أيضًا لكنَّه قليلٌ زمنًا ووصفًا، بالنسبة لنعيم الآخرة الكامل، والدائم بلا انقطاعٍ ولا نهاية. موسوعة التفسير

(قَالَ) الله جواباً له (وَمَنْ كَفَرَ) أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا المؤمن والكافر.

قال الشوكاني: وقوله (وَمَن كَفَرَ) الظاهر أن هذا من كلام الله سبحانه ردّاً على إبراهيم حيث طلب الرزق للمؤمنين دون غيرهم، أي: وارزق من كفر، فأمتعه بالرزق قليلاً، ثم أضطره إلى عذاب النار.

وعن أبي موسى الأشعري قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ) رواه مسلم.

(فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا): والمتاع: ما يتمتع به ثم يزول، وذلك بموت الإنسان.

والقلة هنا: تتناول الزمان، وتتناول عين الممتّع، فالزمن قصير، فمهما طال بالإنسان العمر فهو قليل (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) 46النازعات

✉وكذلك عين الممتع به قليل، فكل ما يحصل للإنسان من هذه الدنيا من اللذة والمتاع قليل بالنسبة للآخرة كما في الحديث (ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا) صحيح بخاري

(ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ) أي: ألجئه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار.

(وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) أي: وبئس النار المآل والمرجع للكافر.

قال ابن كثير: ومعناه: أن الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

كقوله تعالى (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) 48 الحج

وقال صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حتَّى إذا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذلكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ القُرَى وهي ظالِمَةٌ إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}. بخاري

وقد أخبر تعالى أنه يمهل الكافرين ويمتعهم ثم يأخذهم

وقال تعالى (لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)196ال عمران

وقال تعالى (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ)24لقمان

أن رزق الله شامل للكافر والمؤمن (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا)6هود

قال سعيد مصطفى ذياب: تأمل قوله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا}، لتعلم أن رغد العيش وسعة الرزق ليس دليلًا على محبة الله تعالى للعبد، وليس ضيق الرزق وشظف العيش دليلًا على بغض الله تعالى للعبد، بل ليست الدنيا وما فيها دليلا على هذا أو ذاك، وكيف تكون الدنيا مقياسًا لحب الله إذا حازها إنسان، أو بغض الله للعبد إذا حرمها وهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.
ولكن إذا وسع الله تعالى عليك في الرزق، وأنت سادرٌ في معصيته، مقيمٌ على ما يسخطه، فاحذر أن يكون ذلك اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ تَعَالَى، عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ مَكْرِهِ.
قال الله تعالى عن أقوامٍ نَسُوا أمرَهُ، وتنكبوا الطريق إليه، وارتكبوا ما نُهُوا عنه: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}. سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ 44

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}. رواه أحمد بسند حسن

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك.

✉هذا التزهيد في الدنيا لأن متاع الدنيا قليل والترغيب بالباقي وهو الآخرة، الحذر من أن تكون نعم الله على العبد استدراجاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ اللهَ قسَّم بينكم أخلاقَكم كما قسَّم بينكم أرزاقَكم، وإنَّ اللهَ يُعطي الدنيا من يُحبُّ ومن لا يُحبُّ، ولا يُعطي الإيمانَ إلا مَن أحبَّ) السلسة الصحيحة

✉عن الحسن قال: (خطب ابن الخطاب، وهو خليفة، وعليه إزار فيه ثنتي عشر رقعة). حلية الأولياء

⇦وقال مبينا حقارة الدنيا: «واللَّهِ ما الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلَّا مِثْلُ ما يَجْعَلُ أحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هذِه، وأشارَ يَحْيَى بالسَّبَّابَةِ، في اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بمَ تَرْجِعُ؟» [رواه مسلم].

⇦وقال: «لوكانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها شربة ماء» [رواه الترمذي وصححه الألباني] .

حقيقة الزهد في الدنيا الزهد في الدنيا هو ما كان عليه رسول الله وأصحابه، فهو ليس بتحريم الطيبات وتضييع الأموال، ولا بلبس المرقع من الثياب، ولا بالجلوس في البيوت وانتظار الصدقات، فإن العمل الحلال والكسب الحلال والنفقة الحلال عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، بشرط أن تكون الدنيا في الأيدي، ولا تكون في القلوب، وإذا كانت الدنيا في يد العبد لا في قلبه، استوى في عينه إقبالها وإدبارها، فلم يفرح بإقبالها، ولم يحزن على إدبارها.

قال ابن القيم رحمه الله :(لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، أو منهما معا).

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (128)

ثم يُذكِّر سبحانه نبيَّه محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ برفْع إبراهيمَ وإسماعيلَ لأُسُسِ الكعبة، وإعلائها؛ لتصيرَ جدارًا، وهما يَدْعُوانِ ربَّهما أن يتقبَّل منهما هذا العمل؛ فهو السَّميع لدُعائهما، والعليم بعملهما ونيَّتهما، وكذلك دعَوَا ربَّهما أنْ يجعلهما خاضعَيْنِ له سبحانه دومًا، ومستسلمَينِ لأمره، وأنْ يُنشِئَ من سُلالتهم جماعةً منقادةً لأوامِره، مُستسلمةً له، وقد أجاب الله عزَّ وجلَّ تلك الدَّعوةَ في المسلمين من العرب.

(وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ) أي: واذكر رفْعَ إبراهيم لقواعد الكعبةِ، وإسماعيلُ يُعاونه بنقْل الحجارة، ورفعُ القواعِد يكون بإبرازها من الأرض وإعلائها؛ لتصير جِدرًا، فالبِناء إذا اتَّصل بعضُه ببعض، صار كالشيء الواحد، والجدار إذا اتَّصل بالأساس صار الأساسُ مرتفعًا.موسوعة التفسير

القواعد: جمع قاعدة وهي السارية والأساس، والمراد بالبيت هنا الكعبة، وقد نقل ابن عطية الإجماع على هذا.

قال الدكتور خالد السبت: (وَإِذْ يَرْفَعُ) [سورة البقرة:127] عُبر بالمضارع الذي يدل على الاستمرار؛ ليصور لك هذا المشهد الرفع، عملية البناء كأنك تُشاهدها، هي كانت في الماضي فعُبر عنها بالمضارع (وَإِذْ يَرْفَعُ) [سورة البقرة:127] واذكر إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، يصور الحال الماضية كأنك تُشاهدها ليُذكر بالمعاني الكِبار، يُذكر بهذا العمل العظيم، وشرف هذا البيت، ومن بناه، ويُذكر بهذه الحال أحوال الكِبار من الضراعة والإخبات وسؤال القبول والتواضع لله رب العالمين.

هذا المقام من أجل المقامات، وأعظمها وأشرفها بناء الكعبة المشرفة بأمر الله -تبارك وتعالى- ومن يقوم بذلك؟إنه خليل الرحمن، والخُلة أعلى مراتب المحبة (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) [سورة النساء:125] وقال ﷺ :(فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا) فهذا إبراهيم وهو من هو، بهذه المرتبة والمنزلة عند الله -تبارك وتعالى- ويقوم بأجل الأعمال، ومع ذلك انظروا إلى هذه الضراعة والانكسار كما جاء عن وهيب بن الورد -رحمه الله- أنها حينما يقرأ هذه كان يبكي، ويقول: (يا خليل الرحمن، ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يتقبل منك).خالد السبت

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)أي: دعا كلٌّ من إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السَّلام ربَّهما سبحانه وتعالى، بأنْ يَتلقَّى بِناءَهما البيتَ بالقَبول والرِّضا عنه؛ فهو الذي يَسمع أقوالهما، ويَعلم أعمالَهما ونيَّاتِهما.موسوعة التفسير

قال عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما :(...ثم جاء بعدَ ذلك، وإسماعيلُ يَبْري نَبْلًا لهُ تحتَ دَوْحَةٍ قريبًا من زمزمَ، فلمَّا رآهُ قام إليهِ، فصنَعَا كما يصنعُ الوالدُ بالولدِ، والولدُ بالوالدِ، ثم قال: إنَّ اللهَ أمرني بأمْرٍ، قال: فاصنعْ ما أمَرَ ربُّكَ، قال: وتُعينني؟ قال: وأُعينُكَ، قال: فإنَّ اللهَ أمَرني أن أبنيَ هاهنا بيتًا، وأشار إلى أَكَمَةٍ مرتفعةٍ على ما حولها، قال:فعند ذلك رفعَا القواعدَ من البيتِ، فجعَل إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يَبني، حتى إذا ارتفعَ البناءُ، جاء بهذا الحَجرِ، فوضعَهُ لهُ فقام عليهِ، وهو يَبني،

وإسماعيلُ يُناولُه الحجارةَ، وهما يقولانِ:(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) قال: فجعلَا يَبنيانِ حتى يدورَا حول البيتِ وهما يقولانِ :(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي: اقبل منا عملنا هذا واجعله خالصاً لوجهك الكريم.خالد السبت

✉وتأمل قوله -تبارك وتعالى -في الخبر عن دعائهما هنا :(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) يعني: يا ربنا تقبل منا، فجاء بهذا الاسم الكريم "الرب" فهذا فيه من التلطف والاستعطاف، وكلمة الرب تدل على التربيب والتربية والإصلاح، فهذا الداعي يلتمس أن يُصلح ربه شأنه، وأن يلطف به، وأن يتقبل منه هذا العمل، فلا يذهب ولا يضيع.خالد السبت بتصرف.

✉وفيه أيضًا هنا تأكيد بـ "إن" وهو بمنزلة إعادة الجملة مرتين (تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [سورة البقرة:127] لقوة يقينهما بسمعه -تبارك وتعالى-أنه يسمع، وأنه يعلم الحال، ومن يتيقن أن ربه يسمع ويرى؛ فإنه يعمل بانشراح ونشاط. خالد السبت

(إِنَّكَ أَنْتَ)[سورة البقرة:127] فجاء بضمير الفصل لتقوية النسبة بين طرفي الكلام "أنت"، ودخول أل على السميع العليم كأن ذلك يدل على الاختصاص، ويُشعر بالحصر، كأنه لا سميع ولا عليم سواك؛ لأن سمع وعلم كل شيء سوى الله -تبارك وتعالى- لا شيء بالنسبة لسمع الله وعلمه (إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [سورة البقرة:127] وإذا كان هو السميع العليم فلابد من أن يكون عمل الإنسان في غاية الصدق والإخلاص والضبط والإتقان، تقول له أنت السميع العليم، ثم يطلع منك على شيء آخر، كأنك تُشهده على نفسك بعمل سيء، وببواطن مدخولة، ونيات ومقاصد فاسدة، هذا لا يكون. خالد السبت

قال ابن كثير: فهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما، كما جاء عن وهيب بن الورْد أنه قرأ (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) ثم يبكي ويقول: يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق أن لا يُتقبل منك، وهذا كما حكى الله عن حال المؤمنين الخلّص في قوله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا) أي: يعطون ما أعطوا من الصدقات والنفقات والقربات (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أي: خائفة أن لا يتقبل منهم.

✉كلما كان العبد أعرف بربه كان ذلك أدعى إلى انكساره وتذلله وخضوعه لله وتواضعه للناس، وإذا تعاظم جهله ظهرت عليه أمارات العُجب والكِبر والتعالي، قد يكون فقيهًا، وقد يكون قارئًا، وقد يكون مُنفقًا، وقد يكون آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، ولكن من غير أساس صحيح، لم يعرف ربه معرفة صحيحة، فتسلل إليه العُجب، يستكثر هذا العمل، فتعاظمت النفس؛ لأنه يرى أنه قد جاء بأعمال جليلة.خالد السبت

✉قال الشيخ سليمان اللهيميد وهكذا أهل الصلاح يعملون أعمالاً صالحة ويخافون:

⇦كما قال تعالى عن عباد الرحمن يبيتون لربهم سجداً وقياماً ويقولون (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)(65) فرقان

وقال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)90الأنبياء

⇦وهذا الصديق أبو بكر يصدّق برسول الله صلى الله عليه وسلم ويجاهد معه وصحبه في هجرته ويتصدق بكل ماله في سبيل الله ويعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول في صلاته (قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم) متفق عليه.

⇦وهذا عمر بن الخطاب يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وينفق نصف ماله في سبيل الله ويقول عند موته: وددت أن ذلك كفاف لا عليّ ولا لي.

سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ عن هذِهِ الآيةِ (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) قالت عائشةُ: (أَهُمُ الَّذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرقونَ قالَ لا يا بنتَ الصِّدِّيقِ، ولَكِنَّهمُ الَّذينَ يصومونَ ويصلُّونَ ويتصدَّقونَ، وَهُم يخافونَ أن لا تُقبَلَ منهُم أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) صحيح الترميذي

قال ابن القيم: والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن.

قال تعالى (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) (21)الرعد.

✋ثم قال: ومن تأمل أحوال الصحابة وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير – بل التفريط – والأمن ،

✉**فهذا الصديق رضي الله عنه يقول:** وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن.

⇦وذكر عنه أنه كان يمسك لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد

⇦وكان يبكي كثيراً ويقول: ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا.

⇦وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل

✉**وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** قرأ سورة الطور حتى بلغ (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) بكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه.

⇦وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء.

✉**وهذا عثمان رضي الله عنه** : كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته.

✉ **وهذا علي رضي الله عنه:** اشتد بكاؤه وخوفه من اثنتين : طول الأمل واتباع الهوى.

✉**وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنه:** أسفل عينيه مثل الشّراك البالي من الدموع

✉ **وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول** : يَا لَيْتَنِي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ وددت أني لم أخلق.

✉**وقال ابن أبي مليْكة رضي الله عنه:** أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم خاف على نفسه النفاق ما منهم أحد يقول : إنه على إيمان جبريل وميكائيل.

✉**وقال الحسن البصري رحمه الله:** ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق.

📋**وأما أهل الفساد والريب فكما قال الله** (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا).169الأعراف

📋**وقول مجاهد في قوله**: (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) قال: لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه ، حلالا كان أو حراما ، ويتمنون المغفرة ، ويقولون : (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا).

📋 **من أسباب قبول العمل:**

❶الرجاء وكثرة والدعاء

(رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (127)البقرة

❷الخوف من عدم قبول العمل

⇦كما قال تعالى في وصف الأبرار أنهم يعملون ويخافون (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)

📋**عن علي رضي الله عنه أنه قال:** كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) 27المائدة

✉أهمية اهتمام العبد بقبول عمله، فالمدار على القبول وليس على كثرة العمل، فكم من إنسان يعمل أعمالاً كثيرة ولا يقبل منه، فليس له من عمله إلا التعب، وكم من إنسان عمل أعمالاً قليلة قبلت منه وفي الحديث (ربَّ صائمٍ ليسَ لَه من صيامِه إلَّا الجوعُ وربَّ قائمٍ ليسَ لَه من قيامِه إلَّا السَّهرُ) صحيح ابن ماجه

قال سعيد مصطفى ذياب: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون بين أمرين: بين خوفٍ لا يفارقُهُ وإن كان أعبدَ الناسِ، ورجاءٍ لا يُزَايلُهُ وإن كان أكثرَ الناسِ إسْرَافًا على نفسِهِ.

وكما لا يطير الطائرُ إلا بجناحين، لا يتحقق الإيمانُ إلا بالخوفِ والرجاءِ معًا، فهما للمؤمنِ كالجناحين للطائرِ، فإذا غلبَ أحدُهما على الآخرِ هَلَكَ صَاحِبُهُ.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ». رواه الترمذي وابن ماجه بسند صحيح

فمن غلب عليه الخوف هَلَكَ باليأسِ من رحمةِ اللهِ تعالى، وسوءِ ظنه بالله تعالى، ومن غلب عليه الرجاء هَلَكَ بالتفريطِ في حقِ اللهِ تعالى، والاغترارِ بسعةِ رحمةِ الله تعالى.

هذا خليلُ الرحمنِ إبْرَاهِيمُ وَنَبِيُّ الله إسْمَاعِيلُ عليهما السلام، يَرْفَعَانِ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، ويبنيان أولَ بيتٍ للهِ في الأرض، في عبادةٍ مِنْ أجلِّ العباداتِ، وفي طاعةٍ هي مِنْ أعظمِ القرباتِ، ويسألان الله تعالى القبولَ، ما دخلَ نفوسَهم شيءٌ مِنْ العُجْبِ، وهكذا يجب أن يكونَ شأنُ مَنْ عَرَفَ ربَه، وأنه مصدرُ كلِ نعمةٍ، وسببُ كلِ فضلٍ.

فمهما كنت في طاعة، فاحذر أن يداخلك عُجْبٌ، أو يخالط نَفْسَكَ خيلاءُ، واحذر أن تُدِلَ بعملك، فبتوفيقه فعلت ما فعلت، وبرحمته وصلت إلى ما وصلت، ولولاه لما كنت.

قال سليمان اللهيميد:

(إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) هذه الجملة تعليل لطلب القبول، يعني نسألك أن تقبل، لأنك أنت السميع لأقوالنا، العليم بأحوالنا ونياتنا لا تخفى عليك خافية.

والسَّمِيعُ: اسم من أسماء الله تعالى، متضمن لصفة السمع لله تعالى، فهو سبحانه يسمع جميع الأقوال والأصوات، السر والجهر عنده سواء.

كما قال تعالى (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ)10الرعد

وقال تعالى (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)7طه

وقال تعالى (وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)13الملك

وقال تعالى (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ)110الأنبياء

وسمع الله ينقسم إلى قسمين:

أولاً : سمع إدراك : أي أن الله يسمع كل صوت خفي أو ظاهر.

قال تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (1)المجادلة

⇦هذا السمع قد يراد به الإحاطة، كالآية السابقة

⇦وقد يراد به التهديد، كقوله تعالى: (لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)181ال عمران

⇦وقد يراد به التأييد، ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: (قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (46) أي أسمعك وأؤيدك

ثانياً : سمع إجابة : أي أن الله يستجيب لمن دعاه.

ومنه قول إبراهيم (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) أي مجيب الدعاء

ومنه قول المصلي (سمع الله لمن حمده) يعني استجاب لمن حمده

ومنه كقوله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع) أي : من دعاء لا يستجاب.

وقد دعا الأنبياء والصالحون ربهم سبحانه بهذا الاسم ليقبل منهم طاعتهم أو ليستجيب لدعائهم

فإبراهيم وإسماعيل قالا (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

وامرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها خالصاً لله لعبادته ولخدمة بيت المقدس قالت (فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

ودعا زكريا ربه أن يرزقه ذرية صالحة ثم قال (إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)

ودعا يوسف عليه السلام ربه أن يصرف عنه كيد النسوة (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

وأمر بالالتجاء إليه عند حصول وساوس شياطين الإنس والجن، قال تعالى (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

آثار الإيمان بهذا الاسم:

أولاً : مراقبة الله تعالى فيما يقوله اللسان ، سواء أسر أو جهر به ، وسواء كان ذلك في جماعة أو في خلوة

ثانياً : اللجوء إلى الله وسؤاله سبحانه من حاجات الدنيا والآخرة ، فهو السميع لدعاء عباده سرهم ونجواهم ، وهذا المعنى من معاني السميع (المجيب) يسكب في القلب الطمأنينة والأنس بالله وحسن الظن به سبحانه ، والرجاء فيما عنده ، وعدم الملل من دعائه.

(الْعَلِيمُ) اسم من أسماء الله

قال السعدي: هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.

⇦ومن علم الله أنه يعلم الأمور التي لن تكون كيف تكون لو كانت.

العليم بنيتنا ومدى إخلاصنا لك، ولأن الأعمال بالنيات، وقد يعمل رجلان عملا واحدا، أحدهما يثاب لأنه يعمله إرضاء لله وتقربا منه والآخر لا يثاب لأنه يفعله من أجل الدنيا.

⇦ كما قال تعالى عن الكفار حين يكونون في النار (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ)، وقال تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا).

⇦والمتخلفون عن غزوة تبوك لا يحضرونها أبداً، لأن الله هو الذي ثبطهم عنها بحكمته بقوله (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) وهذا الخروج الذي لا يكون قد علم جل وعلا أن لو كان كيف يكون، كما صرح به في قوله (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ).

إذن من أسمائه السميع ومن أسمائه العليم، والسميع والعليم صيغتا مُبالغة، أي: عظيم السمع، يسمع دبيب النمل على الصفا، دبيب النمل يسمعه، يسمع كل شيء، فما يُسره الإنسان يعلمه الله -تبارك وتعالى-وما يكون من نجوى فالله يسمعها، السميع العليم، يعلم كل شيء، لا يخفى عليه خافية، فالطريق هو إصلاح الظواهر والبواطن، بحيث يستوي ظاهر الإنسان مع باطنه، يكون حاله في الخلوة والجلوة على حال سواء، هذا هو الطريق إلى النجاة، ولا طريق سواه.خالد السبت